من اسلوب عمليات خطف الطائرات، وعدم قبولها للمقاربة السياسية الجديدة الداعية الى هدم اسس الكيانات المحيطة، كمدخل لتحرير فلسطين فحسب، بل في الالتقاء الذي جمع بين موقف عرفات وموقف الشقيري، حين تبنّى عرفات المقاربة القائلة بامكان، وضرورة، التعايش مع النظم العربية، وفي سعي عرفات، الذي لا يقل الحاحاً، الى اكتساب الشرعية العربية للمنظمة، والتمسك بعدم التدخل في الشؤون العربية.

وهكذا كان الارتباك، وغياب الاتفاق بين التيارين الرئيسين في الحركة الوطنية الفلسطينية، حول استراتيجية العلاقة مع الاردن، يقلص من قدرة م.ت.ف. على توجيه دفة الصراع مع العاهل الاردني، الذي بدا يعرف ما يريد. والواقع ان ما حدث في الاردن يرمز، بصورة أو بأخرى، الى الضريبة التي كان من المحتم دفعها للتجربة الجديدة. وعلى أية حال، كان من المستحيل السماح للمنظمة ـ حتى لو تمكنت من ذلك ـ ان تغير الوضع القائم، لأنه سوف يترتب على ذلك تغيير خارطة التوازنات في المنطقة بأكملها، من وجهة نظر اسرائيل والولايات المتحدة، وعلى نحو ينسف انجازات حرب الايام الستة[٢٧]. ولذلك، كان «أيلول الاسود» جزءاً من صراع يتجاوز، في الواقع، ادواته المحلية المباشرة[٢٨].

محاولات الهيمنة على م.ت.ف.

خرجت المقاومة الفلسطينية من الاردن مثخنة بالجراح، دون ان يتغير شيء في وضع المنطقة، باستثناء حدثين كان لهما تأثير على المسرح السياسي في المنطقة؛ وهما وفاة الرئيس عبدالناصر، الذي بدا رحيله فاجعة جديدة اضيفت الى فواجع الشعب الفلسطيني، حيث كان غياب عبدالناصر يرمز الى دخول العالم العربي مرحلة عدم التوازن، نتيجة للفراغ الذي تركه هذا الرجل العظيم، والذي كان العالم العربي يحتفظ له بمشاعر أقرب الى الابوة؛ أما الحدث الآخر، فهو قيام وزير الدفاع السوري آنذاك، حافظ الاسد، بحركة «تصحيحية» في نظام الحكم، تم على أثرها اقصاء الطاقم اليساري الحاكم عن السلطة.

وفي ذلك الوقت، كانت المقاومة الفلسطينية تحاول مد الجسور نحو لبنان، المكان الوحيد الذي بدا من الممكن ان تجد المنظمة لها فيه قاعدة ارتكاز جديدة لعملها. بيد ان السنوات الانتقالية هذه، حتى العام ١٩٧٣، كانت شديدة الوطأة على المنظمة؛ اذ في تلك الفترة بدأت المحاولات من جانب سوريا والاردن، على حد سواء، لاستغلال ضعف المنظمة. ففيما حاول الملك حسين توظيف انتصاره العسكري على المنظمة في سياق مشروع سياسي، كما تجلّى ذلك عبر طرحه مشروع «المملكة الاردنية المتحدة»، في آذار (مارس) ١٩٧٢، سعى النظام السوري الجديد الى التضييق على المنظمة، والحؤول بينها وبين مواصلة عملياتها المسلحة على الحدود مع اسرائيل.

لقد حاولت اسرائيل، ودول الطوق العربية، كل لأسبابها، استغلال الضعف الذي آلت اليه المنظمة خلال تلك الفترة. فبالنسبة الى اسرائيل، كان ابعاد خطر المنظمة عن الجبهة الشرقية، يوفر، في اعتقادها، الفرص لانجاح استراتيجيتها، التي صاغها موشي دايان أساساً في المناطق المحتلة، بهدف ابقاء الوضع القائم، وتشجيع فكرة التعايش[٢٩] أملاً في تحقيق السلام مع الاردن[٣٠]. ومن هنا، التقت المصلحة الاسرائيلية مع الاردنية على استغلال الضربة التي وجهت الى المنظمة في محاولة ايجاد قيادة سياسية محلية موالية للاردن، لا تعارض، في المستقبل، حل المشكلة الفلسطينية من خلال المفاوضات بين اسرائيل والاردن. وهكذا تركت اسرائيل الجسور مفتوحة للنظام الاردني لاعادة ترميم نفوذه، ليس في الضفة الغربية فقط، وانما في قطاع غزة أيضاً.